فلسفة السلامة

إذا كانت الفلسفة في مفهومها العمومي سَبْر غوْر المعاني والتدقيق في الدلائل من خلال استجلاء ملهمات حسية واستبانة مدركات شعورية؛ توصيفاً لآلية الحياة؛ للوصول إلى جوهرها المادي والمعنوي واستنباط الحكمة من مكنونها .

ففي سياق إطار المفهوم العمومي للفلسفة نؤصل فلسفة نوعية للسلامة؛ باعتبارها جوهر الحياة، فإنْ لم تكن السلامة كذلك فمن يمكن أن يطلق عليه هذا الوصف للحياة آفاق متعددة وصنائع متنوعة كل منها يفعل فعلاً في الآخر، ضمن نسق متضافر، فكما أن الإنسان يحتاج إلى الهواء فهو أيضًا محتاج إلى الماء، وكما هو بحاجة إلى مأوى فهو محتاج أيضًا إلى الراحة من عناء العمل وكدّ جلب المصلحة. لكن كل هذه الطلبات والاحتياجات لن تكون في مأمن إنْ لم تكُنْ في وضع سالم من العيوب وخالٍ من شوائب الخطر، وفي منأى عن المضار ليتمتع بها الإنسان ويقر قراره بها.

إزاء ذلك يمكن أنْ نسمي السلامة جوهر الحياة، فكلّ مطلوب ضرورة، وآخر الضرورات السلامة، والجوهر بحد ذاته لا يقوى على الصمود إذا ما شابه تلف أو اعترته مضرة، إذا لم يحسب لسلامته حسابًا، ولم توضع في عين الاعتبار حمايته.

إذن: نتوصل إلى أن لبَّ المطالب هو الجوهر الذي تقوم عليه، وهو السلامة من خلل يعرض منافع الإنسان لتلف.وفي هذا فإن

فلسفتها تكمن في البحث الدؤوب؛ لبلوغ مراميها وإدراكها؛ كونها قيمةً لا تُقدر بثمن لتستمر العطاءات وتتدفق المنتجات فينال الإنسان استحقاق الحياة في رحابها ، أمانًا من أهوال الأحداث وممارسة المعايش بسلام، بلا خوف يغشاه أو ريبة تتولاه ، وكأنما هي بذلك تمثل بوليصة تأمين ضد المنغِّصات ومضايق العيش بعد الله ومشيئته.

ولبلوغ هذا المرام كان لزامًا القيام بعملية تحليل محيط الإنسان؛ لتشخيص واقع الحال وتتبع إشارات تنبىء عما قد يفضي بمضرة أو يسبب مهلكة وتفسير ما وراءها ، وقراءة مردودها لردم فجوات الخلل، وتحصينها بما يضاهيها المقصد النهائي، لها أمان بقاء وسلام عيش.

وبذلك تعد السلامة قضية من القضايا الرئيسة في حياة البشر، إذ تشكل دائرة فسيحة تدور في محيطها مدارات حفظ الكيان الإنساني كمنهج حياتي يستوعب قيم البقاء.

وغنيٌّ عن القول أنه عبر رحلة الإنسان التاريخية منذ الخليقة الأولى ما فتىء يصارع قوى الطبيعة، فعمل على أن يكون في مأمن من المخاطر وتهديدات الحوادث، وبذلك ظلّ صراعه مرتبطًا بغريزة حب الحياة، فمن يطلب السلامة طلب الحياة، ومنْ أهمل أحوالها لايكون في مأمن ، فهي وِجَاء بعد الله من غيلة الحوادث ، فكلما استقصينا حبائل السلامة جُنِّبْنَا حبائل المضار.

وهنا تكمن فلسفة السلامة في مُكوِّنين:

١- **مكوِّن شرعي:** ينبثق من مبدأ الحفاظ على النفس والمال، وهما عنصران من عناصر المقاصد الشرعية، حضَّتْ عليهما بقوة.

٢- **مكوِّن بقائي:** ينبثق من ارتباطها بغريزة حب البقاء والتناغم المنطقي مع حب الحياة؛ باعتبارها ضرورة ومُقوِّمًا من مقوماتها، وأساسًا من أسس العيش، فمن فقدها فقد معنى الحياة، ومن فلسفتها نتوصل إلى علتها، ومن علتها نستنبط الحكمة في قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمۡ سَكَنٗا ﴾ [سورة النحل آية : ٨٠] مرادها المحافظة على المنـــزل من الحوادث التي تعصف بسكونه.